

*
* *

ذهب الصبي الا علاقة راحل يبغي الذهاب بها ونستقيها
كان الشباب صحيفة فطورتها وطويت دنيائي الحبيبة فيها
كثرت مساوي الحادثات فشوهت ما كان من بهجاتها تشويها
لا أعذل الايام ان قصائدي ملء العوالم السن تطريها
الشعر عندي آيتان فآية توحى إلي وآية أوحيا (١)
احمد محرم

بدء الحديث

أسباب عظمة أميركا

وما يجب ان نستفيد منها

﴿ اذاك زمن ضائع ﴾ قال بعض الاصدقاء (ان الجامعة أضاعت اربع سنوات خارج مصر . فلو بقيت هنا لاستفادت أضعاف ما استفادته من رحلتها الى البلاد الاميركية) ولكن هل يقال هذا القول للطلاب الذي يدخل مدرسة ويقضي فيها اربع سنوات يتلقى في اثنائها احد العلوم او الفنون . أو الطبيب الذي يتم درس صناعته ثم يقصد أوروبا ليصرف في احد مستشفياتها زمناً طويلاً يدرس فيه درساً عملياً ما درسه في مدرسته درساً نظرياً . أو السائح الذي يجوب القفار وينفق الدرهم والدينار ويعاني مشاق

(١) بيتك هذا وحده يعدل قصيدة لجماله وحسن نظامه . فأذن لي بان اختم المذال بهذا الثناء على فضلك وحسن ظنك . ولا تعدّ من سوء الأدب ان صديقاً لك احسنت ظنك فيه واتحفته بشيء من نفيس شعرك اجترأً وواجه بعض ابياتك الحسان بنقد او معارضة . فان هذه هي الطريقة الوحيدة التي امكنتني معها نشر قصيدتك لنشر فضلك وشكرك لحسن ظنك بصديقك .

السفر في الليل والنهار ادراكاً للغاية التي من أجلها خرج يضرب آباط المطايا او يركب سفن الجار وقطر البخار . كلا فان جميع هؤلاء لم يضيعوا اوقاتهم سدى . ومن حسن حظ الجامعة انه اتبع لها ذلك السفر البعيد الذي (وسع أفقها) وأراها من ذلك الكون العظيم ما رأت وأسمعها ما سمعت بعد معيشتها الى ذلك العمر في زوايا الشرق الساكنة

قضينا خارج مصر نحو اربع سنوات جلنا في اثنائها في ولايات فرنسا امّ الحرية والجمهورية . وابطاليا أمّ الفنون والجمال . وأميركا الشمالية بلاد العجائب والغرائب . وكندا ملئى المدنية الانكليزية والفرنسية . وسحنا مدة اربعة أشهر في ١٢ ولاية من الولايات الاميركية (١) فزرنا كثيرا من مكاتبها ومناحفها ومدارسها وانديتها ومعاملها ومزارعها ومناجها ودرسنا شوئون بعض مدنها الكبرى والصغرى درس طالب يأخذ العلم عن استاذ خبير وراقبنا روح الشعب في المدن والقرى مراقبة مستفيد خلىّ الذهن يدرس ليتعلم لا يتحكم . ورأينا في الشوارع والاسواق والمعامل والمحازن — رأي العيان — تلك الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي نكدّ الذهن ونتعب البصر والفكر لنستخرج أخبارها من المجلات والجرائد ونحن جلوس في الشرق وراء الدواة والقلم . وشاهدنا عظمتها التجارية والصناعية والزراعية التي لا تجتري على منازعتها فيها أمة من الامم . وخدمنا في أثناء ذلك اخواننا المهاجرين من الشرق الى تلك البلاد البعيدة الخدمة التي قدرنا عليها فصار اصدقاء الجامعة فيها يعدّون بالمئات واصبح اسمها بينهم هناك في كل شفة وفم .

نقول هذا القول لقراء الجامعة في الشرق الذين لاموها لانتقالها الى تلك البلاد البعيدة ومفارقتها البلاد الشرقية . وغرضنا من بسطه هنا ان نقول لحضراتهم ما قاله الشاعر (وكان شغلي عنك بك) فاننا برحلتنا الى اميركا قد خدمنا نفوسنا وخدمناهم وسيرون أثر ذلك في المجلة باذن الله . فلم يضع اذاً ذلك الزمن عليهم او عليها

✽ فلندرس شوئون اميركا ✽ ولما كان القراء يتوقعون ان يجيدوا في كل جزء من الجامعة بعد عودتها من اميركا دروساً ومباحث في مدنيّتها وعجائبها وغرائبها وشوئونها

(١) وهي ولاية نيويورك وكناتكت ورود آيلند وماستشوستس وماين ونيوهمشير (فضلاً عن ولايتي كندا المتاخمتين لها وهما كوبك وازاوى) وبسلفانيا واوهايو واندانا والنويز

العمومية والخصوصية اي الشؤون التي تشارك اميركا سائر الامم فيها والشؤون التي انفردت واستقلت بها دون غيرها فقد شرعنا ابتداءً من هذا الفصل في كتابة مقالات متسلسلة تشرح حالة تلك الامة العظيمة وتظهر اسباب عظمتها وتدل على مايجب ان تأخذه عنها وما يجب تركه اما تركاً دائماً او الى حين ولسنا نزع اننا بما ننشره نكتشف اميركا اكتشافاً جديداً فانها قد اكتشفت منذ زمن بعيد واليك مؤلفات سياح اوروبا فانها كثيرة في هذا الباب . على انه من الغرابة اننا لم نقرأ كتابين لكاتبين كتبنا في هذا الموضوع الا ورأينا اختلافاً في الحكم على اميركا ورجالها وأشياءها . فمنهم من يمدح ومنهم من يقدح والمتصفون قليلون في هذا كماهم قليلون في كل أمر . اما نحن فسنسلك في هذا الموضوع سبيلاً يرضي اولئك الاضداد ويجعل للقارئ سبيلاً الى الاستقلال والاستدلال . وذلك ان نروي اراء الفريقين ونضم اليها ما ارشدتنا اليه اختباراتنا الخاصة فيصبح القارئ وهو قادر ان يحكم بينها بنفسه بحسب رأيه وميله وتربيته .

ان تلك المراحل الهائلة التي تغلي في الطرف الآخر من الكرة الارضية وسط جلبة هائلة هي اعظم جلبة عملية صدرت عن جمعية بشرية في الكرة الارضية — لمي جديرة بالدرس . وابناء الشرق الساكن الهادىء احوج الى هذا الدرس من غيرهم وخاصة في هذا الزمان الذي زحف فيه الغرب على الشرق بنجمله ورجله فاما ان بدوسه ويمر في سبيله على جثته كما مر المتأخرون على جثث الامم التي تقدمتهم وساروا في سبيلهم لا يلوون على شيء واما ان يجاريه الشرق ويقتبس نشاطه وقوته وجرأته ونظامه ويسير معه ككتف الى كتف في سبيل المستقبل فيسلم ويقوى على الحياة (التي تستحق ان تدعى حياة) . وفي اعتقادنا انه ليس في المدنيات الحاضرة مدنية اصولها وقواعدها هي الدواء الشافي لداء الشرق الدفين كالمدينة الاميركية المبنية على تآخي العناصر والجنسيات في ارضها تآخياً فعلياً واتحاداً اتحاداً حقيقياً مما الفروق من بينها وجعلها امة واحدة تحت ظل (العمل) الدائم المستمر الذي يشغل المرء عن كل شيء حتى عن نفسه وينقي جو فكره من كل شاغل لا بدعي (عملاً . وثقوة . وحركة . ونشاطاً . وكسباً) وينفره من الجدل العقيم الذي ما تسلط على امة الا افسد امورها طبقاً لما جاء في الحديث (اذا غضب الله على قوم سلط عليهم الجدل) .

وا اسفاه . اين روح العصر ومقتضياته وحاجاته من الروح التي تصوورها لنا كتب الدين والآداب والاخلاق الكريمة . اين ما يدرسونه في مدارسنا مما نراه في ميدان الحياة . ان الشرق رافد بسكون على آثاره واطلاله الدينية القديمة البالية وشعاره الاستكانة

والهدوء، والاحلام وهو يعلم ابناءه في المدارس ما كان ابناء الغرب يتعلمونه في القرن السابع عشر والثامن عشر من المبادئ، والكتب التي تضعف نفوسهم وابدانهم وتجعل جو افكارهم يعزل عن جو الحياة الحقيقي — بينما اهل الغرب يسبرون وشعارهم القوة والنشاط والاقدام قبل كل شيء، ويفرسون هذه الصفات في نفوس أبنائهم بدروس عملية واختبارات شخصية ورياضات بدنية وتربية مسئلة تجعل الفرد قابضاً على زمام نفسه عالماً بجهد الحياة ومقنضياته وحاجاته قبل دخوله ميدان الحياة ومستعداً لهذا الجهاد اتم استعداد. ونحن لا نقول ان هذه التربية افضل من تلك ولا تلك افضل من هذه فان البحث في هذا بحث في الشرائع الاديوية والاجتماعية ومبدأ الحياة وغايتها والحكم فيها حكم بين مبدأين يتنازعا بنى الانسان منذ زمان وهذا موضوع ليس هنا موضعه . ولكننا نقول ان روح العصر يقتضي الآن تلك (التربية القوية) وان الشرق اذا كان يكره الموت ويريد الحياة فعليه بازاء الحركة الوضعية التي ملأت آثارها الدنيا وتسلمت (بحق او بغير حق) على جميع شؤون الحياة ان يقدم على تلك التربية . واذا كانت مذاهب الدينية (او غيرها) هي التي تحول دون تربيته التربية الجديدة المطلوبة وتجعل نفوس ابناءه ضعيفة منصرفة عن العمل الى الجدل وتغني ما فيها من نشاط وقوة اذ تحولها احلاماً واوهاما وتمنع ابناء الوطن الواحد من ان يتحدوا ويعيشوا كلمة واحدة جميع قوى أبنائها منصرفة الى زيادة منافهم ومرافقهم بدل انصرافها الى منازعة بعضهم بعضاً منازعة تضعفهم جميعاً ولا يستفيد منها الا الأجنبي — فعليه (اي الشرق) ان يضع الدين جانباً في مكان مقدس محترم لا يتعداه — ولا اكرم من الكنائس والجوامع — وينبذ بلا شفقة ولا رحمة كل عثرة تعترضه في هذا السبيل وان استهدف لأعظم المقاومات . ولا نضمن بعد هذا ان يكون الكون افضل مما هو الآن ولكننا نضمن ان الافراد يكونون اقوى ونكون نحن الشرقيين اقدر على منازعة ضيوفنا وجيراننا البقاء والمعيشة بجانبهم في بلادنا دون ان يأكلونا أو يستغرقونا . وهب ان تلك التربية القديمة افضل واجمل فاننا احوج الآن الى هذه التربية الجديدة التي هي سلاحنا الوحيد في الدفاع عن انفسنا وحفظها . والا فكل صراخنا وعويلنا لا يفيدنا شيئاً مادام الحق للقوة في هذا الطور البشري . والله أعلم متى يصبح الحق وهو قادر على ان ينتصر بنفسه دون ان يعتمد على قوة تنصره غير قوته الذاتية .

فلندرس اذاً معاً مبادئ المدينة الاميركية التي هي الآن اشد المبادئ البشرية جمعاً بين القوة والنشاط والعمل والحركة . المبادئ التي هي الآن (استاذة) النشاط

في العالم أجمع ولديها يقف الاوروييون انفسهم حيارى مدهوشين . ندرسها لا
انجذب بكل ما فيها فان لها سيئات كما لها حسنات ولكن ندرسنا لتستمد من روحها وحي
النشاط والقوة الذي امتازت به ونحن الآن في هذا الطور من مدينتنا (او ابتداء
مدينتنا) في حاجة الى هذا الوحي كما كنا في ماسبق في حاجة الى ذلك . ولو ادرك اليوم
نييتش مدينة اميركا ودرسها بنفسه درساً دقيقاً لظن ان القوم في كثير من مسائلهم انما
يعملون بمبادئه ولجعل بطله (زارانتوسترا) الهائل ينبأ ان الانسان الذي صورّه (فوق
الانسان) ودعا الى ايجاده في جميع كتبه سيكون منبته في الولايات المتحدة . . . اذا استمر
ارتقاؤها مطرداً

﴿ وصف شعري ﴾ ولكن قبل ذلك :

يقولون لي صفها فانت بوصفها خبير — أجل عندي باوصافها علم
وحيث وجها السؤال هنا شعراً فلنعملن الجواب شعراً ايضاً . . . وهي ابيات نظمناها
في اثناء سياحتنا في الولايات المتحدة بين جبالها واوديتها وسهولها وحزونها ومدينها وقراها
فانظر الى معاني الايات لا الى الفاظها لان النظم هنا كنظم كل من اجترأ على الشعر وهو
ليس من أهله فنظم قصيدة كانت (بيضة الديك) العمر كله .

عج بالجبّال ولا تعج بالوادي	ان شئت رؤية هذه الامجاد
واركب لها قطر البخار فقدمضى	عصر النياق وصوت ذاك الحادي
العيس بادت والطلول عفت فما	يلقى لها من نادب أو هاد
واطلب اليها ان تطير ولا تقل	(مهلا فانك سائر بفوائدي)
الوقت مال والزمان زمان ركض	لا زمان تخت ورقاد
وتداعب في (الرقتين) و (حومل)	و (السقط) أو في الندب والتعداد
الوقت وقت ارادة صماء تصرع	كل معترض سبيل جهاد

ولقد سعدت الى الجبال أرى الوري	واقيس حالهم بحال بلادي
فبت لي (الارض الجديدة) (١) مثلاً	تبدو المدينة من ذرى منطاد
وتثلت لي بين اتلانتيكها	ذاك العجاج وبين ذاك (الهادي) (٢)
كعوالم من غير دنيانا بدت	تزري يبابل أو بذات عماد

(١) الارض الجديدة اميركا (٢) الهادي الاوقيانوس الباسفيكي

شعبٌ عظيمٌ هائل متفرق في واسع الاغوار والانجناد
مدن كما انتشرت نجوم القبة الزر قاء او كالرمل في التعداد
والله لا ادري أأسهل ان اعدَّ بلاد هذا الشعب عدَّ سداد
او ان اعدَّ شعوبه (١) وكلاهما صعبٌ وفيه حيرة المرتاد
في الشرق بيروت وقاهرة ولكن كم هنالتقى (٢) من الاضداد
في الشرق لبنان وحيد انما كم ههنا من شائح الاطواد
في الشرق ارضٌ قدست بنبوءة ظهرت بها قدماً وغاب الهادي
وهنا اراضٍ قدست بالالهة الحسرية القصوى وهديٌ بادٍ
هذي شرائعنا الجديدة فانظروا آثارها يا معشر الزهاد
شرع جديد لست ازعم انه ابهى وأجل من شرائع عاد (٣)
لكنتي لا استطيع اذا رأيت جميله في البر والاسعاد
ونظام عيش الناس فوق سهولة الكسب الجزيل وأمن كل معادي
ووداد اقوام يوالف بعضهم بعضاً بلا ضغنٍ ولا احقاد
ان أنكر الشمس الجلية في الضحى واقول خير الشرع شرع الفادي (٤)
او شرع ذلك المرسل الغازي الذي ملاً الورى قسطاً وحسن ابادي (٥)
او شرع ذلك الصالح المقطوع في حرش يسائل ربه وينادي (٦)
مات القديم فكفونوه فما له ما بيننا من رجعة ومعادٍ
الارض تحتاج (الارادة والعزيمة والنشاط) وليس وحي الدين والارشاد (٧)
فيها ارتقت هذي البلاد وانها مرفاة كل تمدن وبلاد
هذا كلام نبيتش ان نبيتش كان مقوم المعوج والمنشاد
في زعم بعض الناس اما مذهبي فيه فابقيه الى ميعادٍ
❖ اسباب عظمة اميركا ❖ اول شيء يتبادر الى الذهن هذا السؤال وكَم من مرة
القاه علينا بعض الادباء في الولايات المتحدة . وهو : « ماهي الاسباب الرئيسة التي جعلت

(١) جميع اجناس البشر موجودة في الولايات المتحدة (٢) اي هي تلتقى (٣) اي
الشرائع القديمة كقدم عاد (٤) المسيح (٥) محمد (٦) بوذه (٧) هذا الكلام منظوم عن
لسان الفيلسوف نبيتش لا عن لسان الناظم

اميركا في مائة سنة في المنزلة التي بلغتها ولماذا اختلفت مدنيتهما عن مدينة اوروبا مع ان الاميركيين اورويون اصلاً . ومن اين جاءوا بتلك الصفات المدهشة صفات النشاط البالغ حده والقوة العملية التي ليس مثلها قوة حتى في وطنهم القديم نفسه (اوروبا) . وبعبارة أخرى ماهي الاسباب الخفية التي جعلت اميركا اميركا كما نراها الآن)

علي ان الجواب عن هذا السؤال جدير بان يكون في خاتمة مباحثنا في اميركا وشؤونها لانه عبارة عن اجمال لجميع مدنيتهما . ولكننا قد مناه خاصة لتبسط للقاريء ذلك الاجمال قصد ان يلمّ بخلاصته اولاً . تأييداً للنظريات التي نشرناها في ما تقدم

تعرو مريد الكلام عن اسباب عظمة اميركا في مقالات مختصرة حيرة حين شروعه في بسطها . ذلك لان الكلام عنها يتناول الاسباب والاسباب من شؤون الكتب والمجلدات . فنكتفي بالاشارة الى اهم تلك الاسباب

١ - واول تلك الاسباب ثروة الارض في الولايات المتحدة ونريد بالارض هنا (ما على سطحها وما تحته) اي خصب التربة والمعادن . فان الطبيعة خصتها من سان فرانسيسكو حتى نيويورك (١) ومن شيكاغو الى تكساس بنحسب زراعي ومعادن مدفونة لم تخص بها ارضاً سواها . واذا قيل ما سبب هذا التخصيص فالجواب ان سببه الفواعل الجيولوجية والارض لا تزال عذراء واكثرها غير مأهول لم تمد اليه يد الانسان بعد خلافاً لارض اوروبا التي ضعفت وهزلت لكثرة العمل فيها وكادت تنفذ منها معادنها . فانه في بعض النواحي كولاية بنسلفانيا المشهورة بكونها بلاد المعادن يكفي في استخراج الغاز من الارض ان تغرس فيها اسطوانات معدنية فيجري الغاز منها . ومنايع البترول التي اغنت ركفلر وشركاه اشهر من ان تذكر وهي في الارض كأنهار تجري على عمق يتراوح بين ١٠٠ و ٩٠٠ متر تحت سطح الارض وتنساب في اسطواناتها المصنوعة لها على مسافة مئات من الاميال جارية الى مخازن الشركة . وبجانب ينابيع الغاز وينابيع البترول معادن الفحم على جميع انواعه والذهب والفضة والقصدير والرصاص والنحاس الخ . وليس ظهر الارض باقل ثروة من بطنها . فقد شاهدنا في مكتب الحكومة الاستعماري في منتريال (كندا) فحماً ارتفاع سوقه كارتفاع الانسان . وخصب الارض في ولايات كاليفورنيا واوهايو ولوزيانا وتكساس امر مشهور . وحسبك زراعة القطن الاميركي المشهور في لوزيانا

(١) اي من شاطئها الغربي في الاوقيانوس الباسفيكي الى شاطئها الشرقي في الاوقيانوس الاطلانتيكي

وتكساس الذي تعتمد عليه معامل اوروبا ويرقص بورصاتها في مصر وتجارها وسماسرتها ومن التفّ حولهم تارة الفالس وطوراً البولكا . وحيواناتها ومواشيها متعددة الاجناس كثيرة النوالد في مراعيها الخصبية المتسعة التي لا يدرك الطرف آخرها . واحراشها هائلة لسعتها وكثرتها وضخامة اشجارها وحسبك منها الاشجار المشهورة في كاليفورنيا بان عمرها ثلاثة آلاف سنة وقد عاصرت اليونان والرومان الاقدمين (١) وانهارها اعظم انهار في الدنيا

ففي ارض اميركا مجموع المادة الاولى الضرورية لثروة الامة وعظمتها . فما يعوز سكانها لينهضوا ويعظموا ؟ لا يعوزهم الالهة وخبرة . وقد تمت لهم كما ترى في مايلي

٢ - كانت طائفة البيورتين اول من هاجر من اوروبا الى اميركا فراراً من الاضطهاد الديني ورغبة في ان يعيشوا مستقلين بعاداتهم وشرائعهم في ارض ليس فيها لاحد سلطة عليهم . ثم لما عمروا المدن وقطعوا الغابات وانشأوا الحقول وصارعوا الطبيعة والحيوانات الوحشية اخذ ينضم اليهم كل من ضاقت به اوروبا لاشتداد الفقر فيها . فالمهاجرة الى اميركا كان اصلها امرين . الاول الفرار من الاضطهاد الديني والثاني ضيق اوروبا عن اهلها وفقيرهم . وغني عن البيان ان الذي ذاق عذاب الاضطهاد الديني ينفر منه وهذا اصل تأييس التساهل الديني في اميركا . فان أولئك السذج الكريمي الاخلاق الذين فضلوا احتمال النفي والعذاب على الرجوع في معتقداتهم كرهوا ان يجترعوا نفس الجريمة التي اجترعها وطنهم الاول وافادهم اختبارهم فيه وهذا منشا التساهل الديني الاميريكي . وقد قلنا ان السبب الثاني الذي دفع المهاجرين الاولين الى المهاجرة هو الفقر وطلب الرزق لضيق وطنهم الاول بهم فنشأ عن هذا انهم انصرفوا بكليتهم الى العمل في دار هجرتهم وتركوا المنازعات القديمة رغبة في السعة والكسب . فالنقيضتان اللتان كانتا سبب هجرتهم كانتا ايضاً من اعظم اسباب نهضتهم ووحدتهم

٣ - وكان المهاجرون الاولون الى اميركا خليطاً من الانكليز والفرنسيين والالمانيين والاسكوتلانديين والاييرلنديين والايطاليين والتمساويين الخ . وكل واحد منهم يحمل في نفسه فضائل ونقائص بني جنسه . الا ان اختلاط دمائهم بالزواج اولد منهم نسلأً جديداً بعيداً عن النسل الاوروبي . وكان العنصر الانجلوسكسوني كثيراً بينهم فاتخذ

(١) اسمها عندهم (بيك تريس) اي الاشجار الكبرى ولكن اسمها العلمي

Sequoia gigantea او wellingtonia

نسلمهم كثيراً من اخلاقه الجديدة وثباته في العمل . ثم انهم بلغوا اميركا وهي صلعاء عذراء فكان على الواحد منهم ان يكون حطاباً يقطع الاشجار لينشيء حقلاً ومزرعة يعيش فيها وبعد ذلك يحرث الارض ويزرعها ومرتاداً يذهب لاكتشاف ارض جديدة له وجندياً لمحاربة الوحوش التي تسطو عليه وعلى مزرعته والصوص الذين يطعمون في سلبه وتاجراً لبيع حاصلاته الخ. فكان الواحد يعمل صنوفاً كثيرة من الاعمال التي توزع عادة على كثيرين في الهيئات الاجتماعية المنتظمة وهذا الجمع بين اعمال عديدة انشاء في ذلك الجيل ونسله قوة جديدة لم تكن له من قبل . ولما كان ذلك الجيل قد اقتبس من اوروبا وطنه الاول جميع اختباراتهما وطرق معيشتها أخذ ينفذ في وطنه الجديد تلك الاختبارات والطرق التي كان قد اقتبسها ويزيد عليها ما يراه

٤ — وكان البناء في وطنه الجديد سهلاً . اولاً لان المادة الاولى التي تنشأ الامم بها ونعني ثروتها الطبيعية موجودة بغزارة في الارض كما تقدم وثانياً لانه ليس في تلك الارض تقاليد ومنازعات واختلافات سياسية او دينية تحول دون البناء على سنن العقل والعدل حسب مصلحة الباني ورأيه . وبينما كان الشعب الاميركي يبني ويعمل ولا تقليد يعارض عمله وبناءه كانت اوروبا تتنازعها الأحزاب وأغراضها والمذاهب وتقاليدها والحكومات وتخاصمها والثورات الداخلية والحروب الخارجية . ألا ترى ان الحكومة منفصلة عن الكنيسة في اميركا منذ زمان وقد انفصلت بلا ضوضاء ولا نزاع . ولكن لما فصلت الحكومة عن الكنيسة في فرنسا منذ بضعة اعوام كادت الاحزاب تحرب فرنسا ولا يزال النزاع في هذه المسألة مستمراً (راجع منشور الاساقفة الفرنسيين في الشهر الماضي)

٥ — وارض اميركا واسعة فانها تعمل الآن ٨٥ مليون نسمة وهي قادرة على ان تعمل ٢٥٠ مليون نسمة . فان مساحة ولاية تكساس وحدها أكثر مساحة من فرنسا وليس فيها الا جانب منها مأهول ومزروع . وقد حسبوا فوجدوا ان لكل عشرة انفس في اميركا كيلو متر مربع من الارض مع ان مساحتها اضعاف اضعاف مساحة فرنسا او انكثرتا مثلاً ولا يسكن في الكيلو متر من ارض فرنسا اقل من ٧٥ نفساً وفي انكثرتا للكيلو متر المربع ١٤٠ نفساً هذا مع كون عدد سكان كل من انكثرتا وفرنسا نصف عدد سكان الولايات المتحدة . فبقي اذاً ان الارض التي يمكن ان يتمتع بها ٢٥٠ مليون نسمة ملقاة بين ايدي ٨٥ مليون نسمة فقط فهي تزيد عن حاجاتهم وهذا سبب من اسباب سعتهم . ٦ — ولما كانت الارض تحتاج الى السكان هذا الاحتياج لتعميرها واستثمارها كانت

المهاجرة اليها قائمة على قدم وساق من جميع اقطار العالم . ففي كل عام يدخل الى اميركا من المهاجرين مليون نفس وزيادة . وبعض الولايات الاميركية تنفق الوقتاً من الريالات على الاعلانات في الجرائد لتجتذب المهاجرين الى ارضها وتحصهم بامتيازات كانقاص اجرة سفرهم اليها في السكك الحديدية وسهولة ادخالهم في الجنسية الاميركية وما أشبه . وحسبك ان تقف على تأريخ عمران مدينة شيكاغو لترى العجب من هذا القبيل . كان عدد سكان مدينة شيكاغو في سنة ١٨٣٧ نحو اربعة آلاف نفس . وفي سنة ١٨٧٠ بلغوا ١٠٠ الف نفس . وفي سنة ١٨٩٠ جاوزوا مليون نفس واليوم كادوا يبلغون مليوني نفس . اي ان عددهم زاد في اربعين سنة عشرين ضعفاً فبعد ان كان ١٠٠ الف اصبح مليونين . فتأمل . وهذه المهاجرة من أعظم اسباب عمران اميركا .

٧ — قد خطر لنا في ذات يوم ونحن في اميركا ان نكتب فصلاً عنوانها (الامور التي تحب اميركا الي والامور التي لا تحبها الي) وكان في نيتنا ان نجعل في مقدمة الامور المحببة فتح اميركا ذراعيها للمهاجرين اليها من جميع اقطار العالم على شرط ان يكونوا اصحاء الابدان والقول ومحبين للعمل فلا يكونوا عالة على خزينتها بعد دخولهم بلادها . ولا تكنفي بان تفتح لهم ذراعيها بل تتخذ اصغرهم كاكبرهم واحقرهم كاعظمهم ابناً لها تكتنفه بحمايتها وجنسيته اذا اقام خمس سنوات في ارضها وطلب ذلك اليها . فيصحب وهو المهاجر الصغير الحقير ابناً للبلاد شريكاً لروزفلت وتفت وبرايين وركفلر في حقوق الحكومة والامنة له المالم وعليه ما عليهم في وسط (كله غريب ولا غريب فيه) لان جميع الامة اصلها غريب . وهذا هو السبب في حب الغرباء لاميركا وحرصهم على مصالحها بعد دخولهم في جنسيته كحرص الاميركيين انفسهم . ان روزفلت هولندي الاصل وكفى . وجميع ابناء الغرباء الذين يولدون في اميركا حتى ابناء الانكليز والفرنسيين والالمان انفسهم يتعلقون باميركيتهم ويحبونها . فسقياً سقياً لك ابتها الارض العظيمة الهائلة التي فعلت ما لم تقوَ الامة على فعله في الارض وهو مزج الجنسيات والعناصر المختلفة وتأليف أمة واحدة منها . ويحق لاميركا الفخر بمدارسها وعلى الخصوص مدارسها الابتدائية الالزامية التي هي وحدها فعلت هذه المعجزة . واذا كان احد في الشرق يعارض في ادخال هذه الطريقة المدرسية اليه (على شرط ان يراعى فيها جميع اصولها مراعاة مطلقة) فما هو بناصح ولا مرید له الخروج من وهدة القديمة

٨ — ان اتساع البلاد يقتضي كثرة الايدي التي تعمل فيها لنتمكن من القيام بمجالاتها

ولما كان عدد السكان قليلاً بالنسبة الى اتساع الارض وكثرة حاجات السكان فقد نشأ عن ذلك ارتفاع الاجور حتماً . ورب عامل في عزق الثلج في شوارع نيويورك اجرته ثلاثة ريبالات في النهار (١٥ فرنكاً) وخمسة ريبالات في الليل . وارتفاع الاجور يجتذب المهاجرين من جميع الاقطار ويمكنهم من أن يعيشوا في شيء من السعة معيشة نظيفة منظمة وان يتزوجوا ويربوا اولادهم . ويعلمون . فارتفاع الاجور يعمر اميركا من جهة ويرقي شؤون العملة من جهة أخرى . ثم كم من الاغنياء ككرونيجي وغيره اصبحوا من اصحاب الملايين وكانوا منذ سنوات عملة وأثروا باحدى طرق الاتراء الكثيرة هناك . وفكرة الاتراء العاجل تملأ مخيلة كل من يعيش في اميركا للسبب الذي تقدم . وعندهم في هذا الصدد عبارة مشهورة وهي (انني اتوقع تشانش) اي فرصة . وارتفاع الاجور مع هذه الفكرة هما السبب في ضعف شوكة الاشتراكية في اميركا وعدم تأثير الاشتراكيين في الشعب ذلك التأثير الهائل الذي لم في اوروبا وخاصة في فرنسا والمانيا حيث العملة في فقر مدقع . فرب عامل في فرنسا او المانيا اجرته في الشهر اربعون فرنكاً ينفق منها هو وزوجته واولاده مع ان اصغر واحقر عامل في اميركا لا يرضى هذه الاجرة في اسبوع

٩ - وارتفاع الاجور ينتج غلاء المعيشة وكثرة النفقة بحسب ناموس الأخذ والعطاء . فينفق المرء عن سعة ليمتتع بثمره كسبه . فينتج هذا التمتع زيادة في النفقة ايضاً . ويصبح هم الناس في زيادة الكسب ليقدروا على تلك النفقة والا ديسوا دوساً فتشدد عزيمتهم في العمل لزيادة كسبهم واتقاء الحاجة . ومصيبتهم هذه من اسباب نشاطهم وقوتهم . ورب شر أنتج خيراً

١٠ - أضف الى تأثير الوسط في هذا الزحام الهائل تأثير الجو ايضاً وهو ما يسمونه (تأثير الاقليم) . وهذا التأثير ظاهر كل الظهور في انحاء الولايات المتحدة نفسها . فانه لا يخفى ان في هذه الولايات اربع ساعات كل ساعة متأخرة عن الأخرى ساعة . وبعبارة أخرى نقول ان فيها الصيف والشتاء والربيع والخريف في وقت واحد . فبينما يكون الزمهرير في ولاية نيويورك الشرقية يكون حر الصيف في ولاية تكساس الجنوبية واعتدال الربيع في ولاية كاليفورنيا الغربية . والولايات الباردة الشرقية (نيويورك بنسلفانيا اوهايو ماس الخ) هي الولايات الاكثر عمراً والاعظم مدنية والاشد نشاطاً وقوة . وكما خصت ارض الولايات المتحدة بصفات جيولوجية ومترولوجية ليست لغيرها (١) قد خصت جوها ايضاً

(١) سنشرح ذلك في اثناء الكلام عن غرائب ارضها وعجائبها كالبحيرات والانهر

بصفات غير اعتيادية • فان الطبيعة فيها شديدة قاسية وأحداثها تتخذ صوراً هائلة . فالزوابع تشد فتخرب عشرات من البلدان في يوم واحد والارض تنزل زلزالها فتهدم مدينة كاملة (كسان فرنسيسكو) • والناس يموتون في الصيف من فرط الحر وفي الشتاء من شدة القـر • فجو كهذا الجو يساعد (مبدأ الانتخاب الطبيعي) فلا يعيش فيه الا الاقوياء الاصحاء • وهو يزيد قوتهم وصحتهم متى احتملوا المعيشة فيه • وبالتالي يزيد نشاطهم •

١١ — بقيت هناك أسباب أخرى عديدة نجعلها هنا اجمالاً لان تفصيلها سيرد في أثناء كلامنا على عظام اميركا ومعجزاتها فضلاً عن ان تفصيلها يطيل الموضوع اطالة لا تحتملها فصول المجلات • فمنها (اولاً) المدارس الابتدائية الالزامية التي تخرج أبناء جميع العناصر والمذاهب وتجعلها امة واحدة (انظر الفقرة السابعة) والمدارس العليا العلمية والصناعية والتجارية والزراعية التي تكمل فعل المدارس الابتدائية وذلك بتعليم أبناء الامة تعليماً عملياً يطلق ايديهم وعقولهم معالماً كما كثر مدارسنا الشرقية التي (تطلق العقول وتغل الايدي) • ومنها (ثانياً) تقديس بدء العمل وعدم الاسترخاء فيه • وهذه مزية كبرى لاميركا واهلها والمهاجرين اليها • فان المهاجر الاديب المذهب في المدارس يستحي في بلاده ان يكون مثلاً عاملاً في احد المعامل ولكنه في اميركا يرى ان روح البلاد كلها عمل في عمل وكل عمل شريف عند أهلها حتى اصغر الحرف والمهن ففسري اليه هذه الروح ويعمل مع العاملين وان لم يعمل طوعاً عمل كرهاً فراراً من الفقر • كان في الباخرة التي سافرن عليها من اوروبا الى اميركا شاب مذهب فرنسوي فبعد وصولنا الى نيويورك باسبوع وجدناه يخدم في مطعم فرنسوي مشهور هناك وقد احفى شاربيه الجميلين وهو يكسب من راتبه ومن هبات المترددين على المطعم ٢٥ جنياً في الشهر • ثم كم من مرة رأينا سائق عربة شحن قدر اللباس واليدين تحييه في الشارع بابتسامة ونظرة فاتنة فتاة انيقة اللباس رشيقة الحركات يطلع البدر من قميصها فكانها من طبقة السيدات المترفات ولكنها

المعدنية الباخرة على الدوام ومغارة مموت المشهورة في ولاية كنتكي وطولها ثلاثمئة كيلومتر في جوف الارض وفيها آكام واودية ودهاليز وشقوق وساحات ولم يكتشف بعد الاجانب منها • والاخايد المنفرجة في مكان واحد تلفظ على الدوام ليلاً ونهاراً بخاراً وغازاً وماء بدرجة الغليان • وتخض ارضها بلا انقطاع تقريباً كأن اعصابها اعصاب فتاة شديدة التأثر لم تحمد الايام حداثها بعد • وغير ذلك من الغرائب التي بلذ تفصيلها • والسياح يقصدونها افواجاً لمشاهدتها •

في الحقيقة صديقه او صديقة اخته او خطيبته او اخته او قريبة له . فهذا السائق يداه في النهار في العمل الحسن الشاق الذي ليس بالنظيف ولكنه بعد انصرافه منه شاب يسكن بيتاً نظيفاً ويعيش معيشة نظيفة مرتبة ويقرأ الجرائد والمجلات ويتردد مع خطيبته على المراسم والمنزهات بملابس نظيفة جميلة كأنه (خواجا او افندي) كما نقول في بلادنا . ومنها (ثالثاً) تعرفتهم الجمركية المشهورة التي بنت في بلادهم دون السلع والبضائع الاجنبية سوراً من حديد فراجت عندهم مصنوعاتهم الوطنية رواجاً عظيماً امكنهم معه ان يتحكموا في رفع اثمانها وزيادة اجور عملتهم ورجح الارباح الطائلة . ومن البضائع الاجنبية ما يضر بون عليه في الجمر ك ٦٠ في المائة ضريبة ليؤذن بادخاله . فانجزر مد البضائع الاجنبية عن بلادهم ونمت صناعتهم بهذه الحماية الهائلة التي يمكنهم معها ان يبيعوا مصنوعاتهم في بلادهم باثمان ارخص من المصنوعات الاوروبية التي تضرب عليها تلك الضريبة . وبسبب نمو صناعتهم كثرت مصنوعاتهم وحاصلاتهم فعظمت تجارتهم واصبحت تلتس لها منافذ الى الخارج وتزحم تجارة العلم اجمع . ومنها (رابعاً) عنايتهم بتقوية ابدانهم كعنايتهم بتقوية نفوسهم وعقولهم وذلك بالرياضات والالعاب البدنية في المدارس والكلبات والاندية الخصوصية والساحات العمومية . وكثيرون يذهبون للنشاط الاميركي وقوته الى تعلقه الشديد بهذه الرياضات والالعاب وهذا موضوع سنفرده فصلاً خاصاً لانه من الاهمية بمكان . ومنها (خامساً) حكمهم انفسهم بالطريقة الوحيدة التي تنطبق على اخلاقهم ومبادئهم الاستفرادي (انديفيدالسم) ونعني بها طريقة الاستقلال الاداري لكل ولاية من الولايات . فان لكل ولاية مجلسين نيابيين ودستوراً خاصاً بها وما الحكومة العليا في واشنطن العاصمة ومجلسا الشيوخ والنواب فيها الا واسطة بينها اي بين ولاية و ولاية من جهة و بين الولايات كلها وسائر الدول من جهة اخرى . — وفوق ذلك كله نعمة الحرية المطلقة الى اقصى حدودها — وعلى الخصوص الحرية الشخصية وفضيلة الاعتماد على النفس اللتان تبتان في نفوس الناشئة منذ الصغر فتكونان (كالنقش في الحجر) . فانك اذا عاشرت فتياتهم وفتياتهم عليك ان تسلك معهم كما يسلك مع الكبار لامع الصغار لا اعتدادهم بانفسهم واستقلالهم ومعرفتهم حقوقهم . ولما نكتسب ثقفتهم ودادهم وصداقتهم بالهدايا والالاعيب كما نكتسبها بمراعاتك استقلالهم الشخصي واکرامهم كما يكرم الكبار . فلهذه الاسباب كلها نشأت في الولايات الاميركية المتحدة امة نشيطة قوية صرفت همها الى العمل وكسب المال لتعيش في سعة وسعتها هذه جعلت شعبها رضى

الاخلاق مطعناً ساكن النفس (طيب القلب) مستقيم الطباع لسذاجته بل اشد اسنقامه من شعب اوروبا كما ذكر بعض السياح الاورويين في كتبهم . ولما كان هم كسب المال مقدماً لدى الاميركيين على كل هم اصبحت قيمة الانسان عندهم ما (يكسبه) لاما (يحسنه) كما قال الشاعر العربي . وفي الحقيقة ان (الكسب) و (الاحسان) في اميركا امران قلما يلتقيان . فكل شيء يعمل فيها انما ينظر الى سرعة عمله وعظمته وضخامته لا الى اجادته واحسانه واتقانه . الاتقان ؟ ليس لديهم وقت للاتقان . وهب ان لديهم وقتاً لذلك وقوة عليه فهم لا يضعونها في هذا الاتقان لان الغرض كسب المال من ذلك العمل لا اتقانه لذاته والبلوغ به الى اقصى حدود الاجادة . فكأنهم في جميع أعمالهم قوم على سفر عليهم انهاء عملهم قبل السفر . انظر الى آلاتهم الصناعية التي يصنعونها وسلمهم وسائر مصنوعاتهم وجرائدهم وآثار مصوريهم وكتابهم ترعى كل ذلك أثر السرعة والضخامة والعظمة وعدم المبالاة بالاتقان . والغريب انهم قدروا حتى الآن بهذه الطريقة على انشاء أعظم صناعة وتجارة وزراعة قامت في العالم . ولكن اذا كانت هذه السرعة والعظمة والضخامة لم تكسبهم حتى الآن جمال الاتقان الفني فانها طبعت في نفوسهم طابع النشاط والقوة والعظمة وجعلتها خلقاً لهم . ومن يعلم ان هذه القوة والعظمة والنشاط لاتضعف متى بلغوا طور الاتقان وتخلت نفوسهم تلك الخفاة والركة والكياسة الملازمة لجمال الفنون . ليست هذه الصفات الجميلة معدودة منذ الآن لديهم ولدى بعض المفكرين هراً ما فقد حيوية ؟ ... الا يستشهدون على ذلك بقولهم ان الثرة لا تحلو وتجود الا قبيل سقوطها ... ولكن الولايات المتحدة لم تعظم تلك العظمة للاسباب التي تقدمت لولم يكن هنالك سبب آخر لم نشر اليه بعد . وهو انفرادها في قارة اميركا وعدم وجود جيران لها اقوياء ينازعونها البقاء ويضطرونها الى التسليح وتجنيد شعبها للدفاع عن نفسها . فانه بينما كانت اوروبا تنوء بحملها الثقيل (السلم المسلح) وتنفق ما في خزائنها من المليارات على هذا التسليح كانت الولايات المتحدة تنفق ما في خزائنها على اصلاح احوال شعبها . ان جيش فرنسا العامل في زمن السلم ٥٠٠ الف رجل وجيش الولايات المتحدة العامل ٦٠ الف رجل ... مع ان عدد سكانها ضعف عدد سكان فرنسا ومساحة ارضها اضعاف ارض هذه . وان الجيش الاميركي العامل لا يزيد عدده عن عدد جيش ركفلر فان لدى ركفلر ٦٠ الف مستخدم يستخرجون له زيت البترول من ارض الولايات المتحدة .

طال هذا المقال فوق ما أردنا وقد كتبناه وهذه التذكارات كلها ما زالت حديثة العهد في نفسنا. وقد صرفنا في كتابته ثلاثة ايام استعدنا فيها في ذهن جميع شؤون الولايات المتحدة وتذكاراتها شأنًا شأنًا وتذكاراتا تذكاراتًا نستخرج هذه الخلاصة منها . وكان مرتب الحروف في اثناء ذلك يغضب ويصبح ويطلب النعمة كأنه ظن ان درس مدنية متشعبة الاصول والفروع عظيمة الاثر والعين كالمدينة الاميركية مما يسهل استخراجها وتسطيره في ساعة او يوم . وبعد مراجعتنا في ذهننا شؤون اميركا كلها حين كتابة هذا الفصل لم يلد لنا شيء كطالعة وداعنا لا ميركا الذي كتبناه في الطريق بعد الرحيل عنها وهو خطاب الى تمثال الحرية العظيم المنصوب في مرفاء نيو يورك يستقبل الواردين و يودع الصادر بنور القبس المرفوع بيده الهائلة وقد مرّت بنا السفينة امامه حين خروجها بنا من المرفاء (١) وقد ضاق المجال عن نشر هذا الوداع في هذا الجزء . فموعدنا به الجزء التالي ان شاء الله .

عقد المسائل الاجتماعية

أثار الكلام فيها سعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل
نظارة الحفانية بكتابه الجديد (روح الاجتماع)

بحث هذا وقته

—838—

اهدى الينا جناب الفاضل خليل بك صادق صاحب (مطبعة الشعب ومكتبته ومسامراته) نسخة من كتاب (روح الاجتماع) الذي ظهر في الشهر الماضي وهو من تأليف العالم الدكتور غوستاف لوبون الفرنسي وقد عر به سعادة الفضال احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحفانية . وقد أذكرنا ظهور هذا الكتاب العلمي النفيس معرباً بقلم سعادة وكيل نظارة الحفانية قولاً قاله افلاطون في (جمهوريته) وهو : ان اسعد الامم الامة

(١) كتبنا هذا الخطاب على طريقة (الخطبة لدى شلالات نياغرا) التي نشرناها

في الجزء الثامن للسنة السابقة